

رسائل بولس في السجن

بولس وفليمون

الدرس
الرابع



كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريب مسيحيّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائل إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

I . المقدمة

II . الخلفية

أ. الأشخاص

١. فليمون

٢. أنسيمس

٣. الشهود

ب. المشكلة

ج. الوسيط

١. التماس أنسيمس

٢. موافقة بولس

III . البنية والمحتوى

أ. التحية

ب. تقديم الشكر

ج. الالتماس

١. بولس كمدافع

٢. أنسيمس كملتمس

٣. فليمون كسيد

٤. الله كحاكم

٥. الالتماس

٦. الثقة

د. التحيات الختامية

IV . التطبيق العصري

أ. المساءلة

ب. الشفقة

١. اللطف

٢. الشفاعة

ج. المصالحة

V . الخاتمة

رسائل بولس في السجن

الدرس الرابع

بولس وفليمون

المقدمة

لا شك أن أكثرنا قد مرَّ بأوقات شعرنا فيها أن صديقاً ما يدين لنا بمعروف. ربما أنك قد قدمت لصديقك هدية أو ساعدته بطريقة معينة ثم أتى الوقت الذي احتجت فيه أنت إلى المساعدة، فذهبت إلى صديقك طالباً منه ردّ المعروف. في أوقاتٍ مثل هذه، غالباً ما نقول لأصدقائنا: "أنا بحاجة إلى مساعدتك وأنت تدين لي بمعروف".

بطرقٍ عديدة، واجه الرسول بولس حالة مثل هذه. فقد احتاج إلى خدمة ومعروف من صديقه فليمون، فكتب "رسالة فليمون" يذكره فيها بكل ما فعل لأجله ويطلب منه إسداء معروف له بالمقابل. هذا هو الدرس الرابع في سلسلتنا "رسائل بولس في السجن" وأعطينا هذا الدرس عنوان "بولس وفليمون" لأننا سنلقي نظرة دقيقة على الرسالة التي كتبها بولس إلى صديقه فليمون، أحد أعضاء الكنيسة في كولوسي. سنرى كيف التمس بولس من فليمون معروفاً طالباً منه أن يتصلح مع أنسيمس، عبد فليمون الذي آمن بالمسيح منذ فترة قريبة.

تتقسم دراستنا لبولس وفليمون إلى ثلاثة أجزاء رئيسية. أولاً، سنستعرض خلفية رسالة بولس إلى فليمون. ثانياً، سنفحص بنية ومحتوى رسالة بولس إلى فليمون. وثالثاً، سنركز على التطبيق العملي لهذه الرسالة. دعونا نستكشف أولاً خلفية رسالة بولس إلى فليمون.

الخلفية

تختلف رسالة بولس إلى فليمون عن بقية رسائله الأخرى في السجن من ناحيتين على الأقل. أولاً، أنها أقصر من الرسائل الأخرى التي كتبها أثناء وجوده في السجن. وبالحقيقة فهي تعالج قضية واحدة فقط. ومن ناحية أخرى كتب بولس الرسالة إلى شخص واحد بدلاً من الكتابة إلى كنيسة ما، أي أنها رسالة شخصية للغاية. وهذا يعني أنه كلما عرفنا المزيد عن فليمون والأشخاص الآخرين المعنيين بالأمر، وكلما عرفنا المزيد عن الظروف التي عالجها بولس، كلما أصبحنا أفضل استعداداً لفهم تعليم بولس في هذه الرسالة وتطبيقه في حياتنا اليوم.

سوف نستكشف خلفية رسالة بولس إلى فليمون بثلاث طرق. أولاً، سوف نحدّد الأشخاص

المعنيين بالقضية التي عالجها بولس في رسالته إلى قليمون. ثانياً، سوف نناقش المشكلة التي أدت إلى كتابة الرسالة. وثالثاً، سوف نستكشف كيف اشتراك بولس بالمشكلة ووساطته. دعونا أولاً نحول انتباهنا إلى الأشخاص المعنيين بهذه القضية.

الأشخاص

تذكر رسالة بولس إلى قليمون أسماء أشخاص كثيرين مختلفين، لكننا سنركز على الأشخاص ذوي الصلة المباشرة وغير المباشرة بالمعروف الذي طلبه بولس من قليمون. أولاً، سنذكر قليمون. ثانياً، سنحول انتباهنا إلى أنسيمس، عبد قليمون. وأخيراً، سنذكر عدداً من الأشخاص الذين كانوا بمثابة شهود على اشتراك بولس في هذه القضية بين قليمون وأنسيمس. دعونا نبدأ بقليمون، ذلك الرجل الذي كتب بولس له هذه الرسالة.

قليمون

لم يذكر بولس مسقط رأس قليمون في رسالته إلى قليمون، لكن كولوسي ٤ : ٩ تشير إلى أن أنسيمس، عبد قليمون، كان من مواطني كولوسي. دعونا نصغي إلى كلمات بولس:

[تِيخِيكْس] مَعَ أُنْسِيمُسَ الْأَخِ الْأَمِينِ الْحَبِيبِ الَّذِي هُوَ مِنْكُمْ. (كولوسي ٤ : ٩)

وحيث أن أنسيمس كان يعيش مع سيده قليمون أثناء كتابة رسالة كولوسي، فإن قليمون كان ساكناً في كولوسي بدون شك.

كانت كولوسي إلى حد ما مدينة صغيرة في وادي لايكوس قرب مدينتي لاودكية وهيرابوليس. كان وادي لايكوس يقع في إقليم فيرجية في ولاية آسيا الرومانية، التي تعرف في الوقت الحاضر بآسيا الصغرى.

يبدو أن قليمون كان مشتركاً بنفسه وفعالاً في خدمة وتشجيع المؤمنين في كولوسي. مثال على ذلك، تحدث بولس في رسالة قليمون ٧ عن الطريقة التي أنعش بها قليمون المؤمنين الآخرين بمحبة. كان بولس ينظر إلى قليمون نظرة سامية وبتقدير شديد لدرجة أنه قال في الآية ١٧ أن قليمون شريك له في خدمة الإنجيل. وربما أن بولس ذكر في الآية ٢ أن قليمون كان يستضيف

الكنيسة في بيته.

لكن علاوة على ذلك، يبدو أنه كان لفليمون تاريخ هام مع بولس مما أدى إلى إقامة رابطة قوية بينهما. لنقرأ ما قاله بولس لفليمون في الآية ١٩:

إِنَّكَ مَدْيُونٌ لِي بِنَفْسِكَ أَيْضًا. (فليمون ١٩)

في أغلب الظن، أنّ بولس كان يقصد أن يقول إنه قاد فليمون إلى الإيمان، مع أنه من المحتمل أنه كان قد أنقذ حياة فليمون بالمعنى الحرفي للكلمة بطريقة أخرى. لكن مهما كان الأمر، فإن فليمون كان مديناً لبولس بمقدار كبير. بإمكاننا أن نتبين قوة علاقتهما من خلال صلوات فليمون لإطلاق سراح بولس من السجن، ومن خلال خطة بولس للإقامة مع فليمون بعد إطلاق سراحه من السجن. نقرأ كلمات بولس في هذا الشأن في فليمون الآية ٢٢:

أَعِدْ لِي أَيْضًا مَنْزِلًا، لِأَنِّي أَرْجُو أَنَّي بِصَلَوَاتِكُمْ سَأَوْهَبُ لَكُمْ. (فليمون ٢٢)

لا يفسّر لنا الكتاب المقدس كيف تعرّف بولس بفليمون. ولكن كما رأينا في دروسٍ سابقة، يذكر لنا الكتاب المقدس أن بولس سافر عبر فريجية أثناء رحلتيه التبشيريّتين الثانية والثالثة. لكن كما رأينا، فإن بولس لم يعرف الكنائس في وادي لايكوس معرفة شخصية. الحقيقة هي أننا لا نعرف كيف أصبح بولس وفليمون صديقين. لكننا نستطيع أن نقول بكل ثقة أنهما كانا يعرفان بعضهما بعضاً معرفة جيدة.

أنسيمس

الشخص الثاني الذي يجب أن نذكره هو أنسيمس. كان أنسيمس بحسب الآية ١٦ عبد فليمون، مع أنه ليس من الواضح أي نوع من العبيد كان وبأية صفة خاصة كان يخدم فليمون. كانت العبودية شائعة إلى درجة كبيرة في الإمبراطورية الرومانية أثناء القرن الأول. وكان العبيد على تعدّد أنواعهم يشكلون ثلث سكان الإمبراطورية. كان الأغنياء يملكون العبيد، وكانت مكانة العبد تعتمد على مكانة مالكه.

كان بعض العبيد الرومان غير متقفين ويقومون بالأعمال المنزلية، لكن بعضهم كانوا مدراء منزل متقفين، أو محاسبين، أو معلمين أخصاء، أو يقومون تقريباً بأي عمل ضروري. ومع أنه كان من الأفضل بشكل عام أن يكون الإنسان حراً بدلاً من عبد، إلا أنه من الضروري أن نذكر أن بعض الأشخاص الفقراء كانوا يبيعون أنفسهم طوعاً ويصبحون عبيداً لكي يضمنوا الطعام والمأوى. ونحن نعرف من السجلات التاريخية للكنيسة الأولى أن بعض المؤمنين اختاروا أن يصبحوا عبيداً ليجمعوا الأموال للأعمال الخيرية، مثل إطعام الفقراء. بشكل عام، لم تكن حقوق الأسياد على عبيدهم مطلقة. فقد سمح القانون الروماني للعبيد أن يكسبوا المال ويقتنوا الممتلكات، بما فيها عبيداً آخرين، وحتى أن يشتروا حريتهم الشخصية من أسيادهم.

وبالإضافة إلى هذه الحقوق، كان عبيد كثيرون يُعتقون، أي ينالون حريتهم، عندما كانوا يبلغون الثلاثين من العمر، مع أن القانون لم يأمر بهذه الممارسة. لأن أنسيمس كان عبد فليمون، فقد كان أحد أفراد أهل بيته. ولكن بخلاف سيده لم يكن أنسيمس مؤمناً، على الأقل في بداية الأمر. غير أنه بعد أن ترك أنسيمس بيت فليمون ساعياً لطلب مساعدة بولس، قاده الرسول بولس إلى الإيمان بالمسيح، وازدادت محبته له بمقدار كبير. عبر بولس عن محبته لأنسيمس في فليمون من الآيات ١٠-١٦ قائلاً:

أَطْلُبُ إِلَيْكَ لِأَجْلِ ابْنِي أَنْسِيمَسَ، الَّذِي وُلِدْتُهُ فِي قَيْوَدِي، ... الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ
... أَحَا مَحْبُوبًا، وَلَا سَيِّمًا إِلَيَّ. (فليمون ١٠، ١٢، ١٦)

أشار بولس إلى أنسيمس على أنه "ابنه" لأنه قاده إلى الإيمان بالمسيح ولأنه نمى محبة أبوية نحوه.

بالإضافة إلى هاتين الشخصيتين الرئيسيتين، ذكر بولس عدداً من أهل كولوسي في رسالته إلى فليمون، بمن فيهم: أافية، أرخبس، وأبفراس. كان لكل واحد من هؤلاء الأشخاص أيضاً علاقة بفليمون. ربما أشار بولس إليهم متوقعاً أن يكونوا بمثابة شهود معروفين ليساعدوه فيما طلبه من فليمون لأجل أنسيمس.

الشهود

ذكر بولس أبفية وأرخبَس في بداية رسالة فليمون في الآيتين ١-٢. لنصغ إلى ما كتبه بولس عنهما:

إِلَى فِلِيمُونَ الْمُحِبُّوبِ وَالْعَامِلِ مَعَنَا، وَإِلَى أَبْفِيَّةَ الْمُحِبُّوبَةِ، وَأَرْخُبُسَ الْمُتَجَنِّدِ مَعَنَا،
وَإِلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِكَ. (فليمون ١-٢)

إنَّ ذكر أبفية كأنها "المحبوبة" لبولس من الممكن أن يشير على أنها كانت مؤمنة. ولكن بما أنَّ بولس ميَّزها عن بقية أعضاء الكنيسة، فمن المحتمل أنها كانت فرداً من أفراد أهل بيت فليمون - ربما زوجته. وربما كان أرخبَس، بدوره، يستضيف الكنيسة المحلية في بيته مع أنه من الممكن أن نقرأ هذه الآية وكأنها تقول أنَّ الكنيسة كانت تجتمع في بيت فليمون. مهما يكن الأمر، وبموجب طبيعة الرسالة، فمن المحتمل أنَّ بولس ذكر أرخبَس لأنه شخص له بعض التأثير على فليمون، سواء أكان راعياً محلياً للكنيسة أو فرداً من أهل بيت فليمون.

بالنسبة إلى أبفراس، فإننا نلاحظ من دروسنا السابقة أنه كان الشخص الذي أسس الكنيسة في كولوسي، وأنَّ الكنائس في وادي لايكوس كانت قد أرسلته ليعمل بولس في السجن. ولأنه كان مع بولس في ذلك الوقت، فإنه لم يستطع أن يكون شاهداً محلياً في كولوسي. لكن مكانته في الكنيسة جعلت الآخرين يحترمون آراءه. وهكذا أرسل بولس تحية خاصة من أبفراس. لنصغ إلى هذه الكلمات في فليمون، الآيتين ٢٣-٢٤:

يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَبْفَرَسُ الْمَأْسُورُ مَعِيَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، وَمَرْقُسُ، وَأَرِسْتَرُخُسُ،
وَدِيمَاسُ، وَتُوقَا الْعَامِلُونَ مَعِيَ. (فليمون ٢٣-٢٤)

لاحظوا أنَّ تحية أبفراس ذُكرت أولاً، وأنها أطول من تحية الأشخاص الآخرين ومُميَّزة عنهم. هذا التشديد على أبفراس جعل فليمون يعرف أنَّ أبفراس لم يرسل إليه تحية فحسب، لكنه أكثر من ذلك، كان يبدي اهتماماً شديداً في التأكيد على استجابة فليمون لرسالة بولس بشكل صحيح.

المشكلة

بعدما استعرضنا الأشخاص الأكثر صلة بموضوع رسالة بولس، أصبح بإمكاننا أن نعالج المشكلة نفسها. ما الخطأ الذي حدث وأدى إلى تدخل بولس؟

ليس سرّاً أنّ بعض العمال ليسوا عمالاً جيدين، وأنّ بعض الخدم ليسوا خدماً جيدين، وأنّ بعض الأشخاص يرفضون تحمّل مسؤولياتهم والوفاء بالتزاماتهم. ويبدو للأسف أنّ أنسيمس كان أحد هؤلاء الأشخاص. أنّ إخفاقه وتقصيره - سواء أكان بسبب الكسل أو الإهمال أو المكر - قد أغضب سيده فليمون كثيراً لدرجة أنّ أنسيمس خاف خوفاً شديداً من عقاب فليمون له. ولذا، هرب أنسيمس من بيت فليمون كي يتجنب هذا العقاب. لنصغ إلى كلمات بولس إلى فليمون عن أنسيمس في الآية ١١:

الَّذِي كَانَ قَبْلًا غَيْرَ نَافِعٍ لَكَ ... (فليمون ١١)

نرى هنا تلاعباً بالكلمات. إنّ اسم "أنسيمس" مشتق بالحقيقة من كلمة يونانية تعني "نافع" أو "مفيد". لكن بولس يقول أنّ أنسيمس برهن على أنه لم يكن نافعاً. بهذا التلاعب بالكلمات وافق بولس مع فليمون على أنّ أنسيمس لم يكن حقيقة نافعاً أو مفيداً كعبد. والأسوأ من هذا، وبحسب فليمون الآية ١٨، سبب أنسيمس خسارة كبيرة لفليمون. لنصغ إلى كلمات بولس:

ثُمَّ إِنْ كَانَ قَدْ ظَلَمَكَ بِشَيْءٍ، أَوْ لَكَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، فَاحْسِبْ ذَلِكَ عَلَيَّ. (فليمون ١٨)

يعتبر كثير من المفسرين أنّ هذه الآية تعني ضمناً أنّ أنسيمس كان قد سرق بعض الأشياء من فليمون. وكانت السرقة تعتبر جريمة شائعة بين العبيد الذين يقومون بالأعمال المنزلية. لكن من المحتمل أيضاً أنّ أنسيمس كان قد ألحق خسائر أخرى بفليمون بطرق أخرى، مثل إدارته السيئة لموارد البيت، أو خراب وخسارة الممتلكات.

على كل حال، كان من حق فليمون أن يغضب، وربما كان لأنسيمس سبب جيد ليخاف من فليمون. بموجب القانون الروماني، كان يحق للأسياد أن يعاقبوا عبيدهم بقساوة، حتى بالضرب المبرح. كان أنسيمس خائفاً وقلقاً جداً من غضب فليمون لدرجة أنه هرب بخوف. لمّح بولس إلى هذا الظرف في فليمون الآية ١٥ عندما كتب الكلمات التالية:

لأنَّهُ رِيْمًا لِأَجْلِ هَذَا افْتَرَقَ عَنْكَ إِلَى سَاعَةٍ، لِكَيْ يَكُونَ لَكَ إِلَى الْأَبَدِ. (فليمون
١٥)

من الواضح، أنّ فليمون لم يكن يقصد أن يغادره أنسيمس، وربما أنه لم يكن ليوافق على مغادرته المنزل. لكن بولس يشير إلى أنه كان لدى الله سبب إيجابي للسماح بحصول هذه الحادثة حيث أنه غير الله أنسيمس بسبب هذا الافتراق، فأصبح أنسيمس نافعاً ومفيداً لفليمون. في الإمبراطورية الرومانية، لم يكن العبيد الذين كانوا يهربون من بيوت أسيادهم بهذه الطريقة يُعتبرون بالضرورة فارين من العدالة. فإن هربوا بدون أن يكون هدفهم العودة، فإنهم كانوا يُعتبرون فارين من العدالة. لكن القانون كان يسمح للعبيد أن يغادروا بيوت أسيادهم مؤقتاً كي يفتشوا عن نصير أو وسيط يمكنه أن يصلحهم مع أسيادهم. وقد سجّل هذه الحقيقة العديد من الفقهاء الرومان. مثال على ذلك، فيفيانس، الذي امتدت كتاباته ما بين العام ٩٨-١١٧م، ناقش هذا الموضوع كالتالي:

إذا ترك عبد سيده ورجع إلى والدته، فإن مسألة كونه فاراً من العدالة قضية تستحق التفكير. فإذا هرب ليخفي نفسه بدون أن يعود إلى سيده، فهو فار من العدالة. لكن لن يُعتبر فاراً من العدالة إذا كان سعى إلى تخفيف الخطأ الذي ارتكبه من خلال التماس مساعدة والدته.

وبطريقة مشابهة، قال بروكيولوس، الذي كان يكتب في بداية القرن الأول:

العبد ليس فاراً من العدالة إذا ما افترق أنّ سيده يريد معاقبته جسدياً، فذهب إلى صديق له ليقتعه أن يدافع عنه.

وقدّم لنا بولوس التفسير التالي في نهاية القرن الثاني:

العبد الذي يذهب إلى صديق سيده ليطلب شفاعته ليس فاراً من العدالة.

هذه الملاحظات القانونية تبين أنّ القانون الروماني سمح للعبيد أن يتركوا أسيادهم طالما

أنهم هربوا لطلب المساعدة من شخص آخر وليس لنيل حريتهم. إذًا، إن كان أنسيمس قد هرب ليطلب من بولس أن يكون نصيره ووسيطاً بينه وبين فليمون، فهو لم يكن فاراً من العدالة. وكملخص لما سبق، المشكلة الأولى في بيت فليمون كانت تكمن في أن أنسيمس كان قد سبب خسارة لفليمون، سواء عن قصد أو بدون قصد، عن طريق الإهمال، أو الكسل، أو المكر. وتضاعفت هذه المشكلة بالتوتر الناتج بين أنسيمس وفليمون، بما فيه ربما غضب فليمون وتصميمه على تأديب أنسيمس، وخوف أنسيمس أيضاً. وأخيراً، وصلت المشكلة إلى ذروتها عند هروب أنسيمس من فليمون. من المحتمل أن فليمون افترض أن أنسيمس كان فاراً من العدالة، لكن دوافع أنسيمس الحقيقية لم تكن معروفة وقتئذٍ.

الوسيط

بعد أن تعرّفنا على الأشخاص الذين ذكرهم بولس في رسالته إلى فليمون والمشكلة التي عالجها في الرسالة، ننتقل إلى وساطة بولس بين فليمون وأنسيمس. سوف نتطرق إلى قضيتين عند مناقشة وساطة بولس: أولاً، التماس أنسيمس في أن يصبح بولس مدافعاً عنه، وثانياً، موافقة بولس للدفاع عن أنسيمس. دعونا نفكر أولاً بالتماس أنسيمس إلى بولس.

التماس أنسيمس

أثناء هذا الوقت كان بولس في السجن وكما ذكرنا في دروس سابقة، من المرجح أن بولس كان مسجوناً في روما، مع أنه من المحتمل أيضاً أنه كان في قيصرية بحرية. ولكن سواء أكان في روما أو في قيصرية بحرية، فإنه كان على مسافة بعيدة جداً عن كولوسي حيث كان يقطن فليمون. بالنسبة إلى بعض علماء الكتاب المقدس، كانت تلك المسافة طويلة جداً لكي يقطعها أنسيمس ويطلب من بولس أن يكون مدافعاً عنه ووسيطاً له. ونتيجة لذلك، فقد استنتجوا أن أنسيمس كان يسعى لبدء حياة جديدة بعيداً عن فليمون، وأنه قابل بولس بالصدفة.

طبعاً، علينا أن نقرّ أن الكتاب المقدس لا يخبرنا بما كان أنسيمس يفكر عندما هرب من بيت فليمون، ولا كيف قابل بولس في السجن. مع هذا، يقدم لنا الكتاب المقدس بعض التفاصيل التي تشير إلى أن أنسيمس كان يسعى إلى مقابلة بولس ليطلب منه أن يكون مدافعاً عنه.

فأولاً، ذهب أنسيمس إلى المدينة التي كان بولس مسجوناً فيها. وهو كان يعرف معرفة جيدة

أنَّ بولس كان يقطن هناك لأن الكنيسة في كولوسي هي التي نظمت وكفلت مهمة أيفراس لرعاية بولس في السجن. نقرأ عن هذه الحقيقة في كولوسي ٤: ١٢-١٣، حيث كتب بولس الكلمات التالية:

يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ أَبْفِرَاسُ، الَّذِي هُوَ مِنْكُمْ، عَبْدٌ لِلْمَسِيحِ، مُجَاهِدٌ كُلَّ حِينٍ لِأَجْلِكُمْ
بِالصَّلَوَاتِ، لِكَيْ تَثْبُتُوا كَامِلِينَ وَمُمْتَلِينَ فِي كُلِّ مَشِيئَةِ اللَّهِ. فَإِنِّي أَشْهَدُ فِيهِ أَنْ لَهُ
غَيْرَةٌ كَثِيرَةٌ لِأَجْلِكُمْ، وَلِأَجْلِ الَّذِينَ فِي لَأوِدِكِيَّةَ، وَالَّذِينَ فِي هِيرَابُولِيسَ. (كولوسي ٤:
١٢-١٣)

بما أنَّ أنسيمس كان من كولوسي، وبما أنَّ سيده فليمون كان عضواً بارزاً في تلك الكنيسة، فإن أنسيمس ربما عرف مكان وجود بولس. وبسبب هذه المعرفة اختار أنسيمس تلك المدينة وجهة مقصده.

وعلاوة على ذلك، عندما وصل أنسيمس إلى المدينة، سعى إلى مقابلة بولس. كان بولس تحت الإقامة الجبرية في أحد البيوت، فلم يكن ليستطيع أن يتنقل بحرية. من الصعب جداً إذاً أن نتخيل أنَّ أنسيمس قابل بولس بالصدفة. من المحتمل أنَّ أنسيمس قصد مكان إقامة بولس. أخيراً كتب بولس إلى فليمون فقط بعدما التمس أنسيمس مساعدته وعزَّز مكانته لديه. أشار بولس في رسالته إلى فليمون أنه قد حوَّل أنسيمس إلى الإيمان المسيحي، وأنَّ أنسيمس أخذ يقدم رعايته وخدماته لبولس في السجن. وبكلمات أخرى، بعدما بقي أنسيمس مدة طويلة كافية مع بولس ليضمن أنه سيدافع عنه، أخذ يهدف إلى طلب مساعدة بولس في الوضع الذي كان فيه. بعدما ناقشنا التماس أنسيمس إلى بولس ليصبح مدافعاً عنه، أصبحنا مستعدين للتطرق إلى موافقة بولس للدفاع عن أنسيمس أمام سيده فليمون.

موافقة بولس

لم يوافق بولس حالاً على أن يقوم بدور الوسيط بين أنسيمس وفليمون، حيث أنَّ أنسيمس كان غير مؤمن وعبداً غير نافع بالمقارنة مع فليمون الذي كان رجلاً صالحاً ومحبباً. كان لفليمون الحق في أن يغضب وأن يؤدب أنسيمس، لكن لا توجد أية إشارة تبين أنه كان سيفعل هذا بظلم أو بدون إنصاف. كان يحق لفليمون أن يعاقب أنسيمس. إذاً، إن أراد بولس أن يدافع عن أنسيمس، فإن دفاعه سيكون على أساس الرحمة. لكن قبل أن يطلب الرحمة لأنسيمس، كان عليه أولاً أن يقتنع بأن

أنسيمس تاب توبة حقيقية.

إنَّ عدم رغبة بولس الأولية في المساعدة بهذه القضية مسألة تثير الإعجاب. فإنه من الحماسة مسامحة الذين ارتكبوا الأخطاء لمجرد أنهم خائفون من العقاب. لنصغ إلى كلمات بولس في هذا الشأن كما وردت في رومية ١٣: ٤ حيث تحدث عن الحكام المدنيين بهذه الطريقة:

لَأَنَّه خَادِمُ اللَّهِ لِلصَّلَاحِ! وَلَكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ، لِأَنَّه لَا يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا، إِذْ هُوَ خَادِمُ اللَّهِ، مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ. (رومية ١٣: ٤)

وينطبق المبدأ نفسه على علاقات كثيرة تتضمن هياكل السلطة، مثل العلاقة بين الأهل والأولاد، وعلى البنية الاجتماعية في الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول مثل علاقة الأسياد والعبيد. إنَّ أصحاب السلطة الأتقياء ينفذون العقاب المناسب لأنه عمل صائب يجب أن يقوموا به. عندما كان العبد يطلب مساعدة من صديق سيده كان من الملائم، أو ربما بشكل مثالي، أن يفرض ذلك الصديق نفسه على السيد بدون أن يقتنع اقتناعاً كافياً بأن ما سيقوم به هو عمل صائب. من أجل المقارنة، دعونا نلقي نظرة على مثال تاريخي حيث طلب عبد روماني آخر مساعدة من صديق سيده. قبل عام ١١١م بفترة قصيرة، كتب عضو مجلس الشيوخ الروماني "بليني الأصغر" رسالة إلى صديقه "سابينيانوس" نيابة عن عبد مُحَرَّرٍ كان يعمل لدى سابينيانوس، وهذه الرسالة محفوظة لأجلنا عبر التاريخ. لنصغ إلى اقتباس من رسالة بليني:

عبدك المحرّر الذي قلت إنك كنت غاضباً منه أتى إليّ وطرح نفسه عند قدمي، وتمسك بي كما لو كنت أنت. وتضرع إليّ بدموع أن أساعده ... وأقنعني بتوبته الحقيقية. أنا أعتقد أنه تغيّر لأنه يدرك أنه ارتكب خطأً. أرجو أن تقدّم بعض التنازلات من أجل شبابه، ودموعه، وقلبك اللطيف، ولا تعذّب وتعدّب نفسك فيما بعد.

لجأ هذا العبد المحرر الذي كان يخدم سابينيانوس إلى صديق سيده طلباً للمساعدة تماماً مثلما فعل أنسيمس. وتتماماً مثل بولس، لم يوافق بليني على التوسط حتى برهن العبد المحرر عن توبته ونيّته الصالحة.

إذاً، من الصواب أن نفترض أنّ أنسيمس بقي في البداية مع بولس ليقتعه بنواياه الصالحة.

وأثناء ذلك الوقت كرز بولس بالإنجيل لأنسيمس، وقاده الروح القدس إلى الإيمان بالمسيح. وبما أن الإيمان الحقيقي ترافقه دائماً التوبة عن الخطايا، فمن الصواب أن نستنتج أن أنسيمس تاب عن كل خطاياه التي أثارت غضب فليمون. وهكذا أصبح أنسيمس إنساناً جديداً بسبب حياته الجديدة في المسيح، وكرس نفسه لخدمة الرسول بولس في سجنه. وبولس بدوره أظهر اهتماماً ورعاية عميقين بهذا المؤمن الجديد وأحبه كابن له.

بعدما حصل أنسيمس على رضى بولس، كان من الملائم أن يرجع إلى فليمون، وهكذا توجه إلى كولوسي حاملاً رسالة المناصرة من بولس. بحسب رسالة بولس إلى فليمون، ومن ناحية قانونية، كان باستطاعة أنسيمس أن يبقى مع بولس بدون أن يصبح فاراً من العدالة. لكن من الناحية الأخلاقية لم يكن هذا هو الحل الأفضل. بدلاً من هذا، استلذمت القيم المسيحية مثل عمل الخير والمصالحة أن يعود أنسيمس إلى بيت فليمون. السبب في عودة أنسيمس نجده في فليمون، الآيات ١٢-١٦، حيث كتب بولس هذه الكلمات:

الَّذِي رَدَدْتُهُ. فَأَقْبَلُهُ، الَّذِي هُوَ أَحْشَائِي. الَّذِي كُنْتُ أَشَاءُ أَنْ أُمْسِكَهُ عِنْدِي ...
وَلَكِنْ بَدُونَ رَأْيِكَ لَمْ أُرِدْ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا، لَكِنِّي لَا يَكُونُ خَيْرُكَ كَأَنَّهُ عَلَى سَبِيلِ
الاضْطِرَارِ بَلْ عَلَى سَبِيلِ الْاِخْتِيَارِ ... لَكِنِّي يَكُونُ لَكَ إِلَى الْأَبَدِ، لَا كَعَبْدٍ فِي مَا بَعْدُ،
بَلْ أَفْضَلُ مِنْ عَبْدٍ: أَخًا مَحْبُوبًا، وَلَا سَيِّمًا إِلَيَّ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ إِلَيْكَ فِي الْجَسَدِ وَالرَّبِّ
جَمِيعًا! (فليمون ١٢-١٦)

أعاد بولس أنسيمس إلى فليمون لأنه أراد أن تكون عطية فليمون طوعية بدلاً من أن تكون إجبارية، ولأنه أراد أن يتصالح فليمون وأنسيمس كإخوة في المسيح. من المفترض أن مصالحتهما كانت ستتم على أفضل شكل عن طريق تقابلهما وجهاً لوجه يعبر فيها أنسيمس عن توبته ويطلب غفران فليمون، ويسامح فيها فليمون أنسيمس ويقبله بالنعمة. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار مدح بولس القوي لفليمون كأخ مؤمن شديد المحبة، ودفاع بولس القوي عن أنسيمس، فإنه يبدو أن بولس توقع هذه النتيجة.

البنية والمحتوى

بعدما استعرضنا خلفية رسالة بولس إلى فليمون، أصبحنا على استعداد لاستكشاف بنيتها

ومحتواها، موجّهين أنظارنا إلى الاستراتيجية والحجج الخاصة التي استخدمها بولس للتوسط بين أنسيمس وفليمون.

رسالة بولس إلى فليمون فريدة في عدة طرق. أولاً، أنها رسالة بولس القانونية الوحيدة التي لا تركز على تعليم ما. في رسالته هذه، كتب بولس كنصير ومدافع بدلاً عن كونه معلماً. وثانياً، في جميع رسائله الأخرى تقريباً، كان بولس يلجأ إلى سلطته الرسولية ويطلب أن تتم الأمور كما أمر هو بها. لكنه في رسالة فليمون اختار بولس بوضوح ألا يعطي أمراً إلى صديقه بل أن يتعامل معه كخادم من أجل الإنجيل، وأن يطلب منه معروفاً. وبالإضافة إلى ما سبق، إنّ رسالة فليمون هي رسالة شخصية من بولس يعبر فيها عن اهتمامه العميق بأنسيمس وفليمون معاً، ويطلب طلبات معينة بناء على صداقته لهما.

بالاختصار، نرى في رسالة فليمون رجلاً متواضعاً من رجال الله وهو يعمل بنشاط ويتحمل المسؤولية، ويعبر عن محبة المسيح. إذاً بينما نستعرض تفاصيل هذه الرسالة، سنركز اهتمامنا على مواقف وأعمال بولس المسيحية، ناظرين إلى الطريقة التي بها مارس المُثل والقيم التي عبر عنها في رسائله الأخرى في السجن.

إنّ مناقشتنا لبنية ومحتوى رسالة بولس إلى فليمون ستتبع مخطط الرسالة ذاته، بدءاً بالتحية في الآيات ١-٣، ثم نلاحظ تقديم بولس الشكر إلى فليمون في الآيات ٤-٧، والتماس بولس من أجل أنسيمس في الآيات ٨-٢١، وأخيراً نختم بالتحيات الختامية في الآيات ٢٢-٢٥. دعونا نبدأ بالنظر إلى التحية في الآيات ١-٣.

التحية

التحية التي ترد في الآيات ١-٣، تبين أنّ بولس هو الكاتب الرئيسي للرسالة، وتذكر أنّ الرسالة هي أيضاً من تيموثاوس. وتذكر التحية أنّ الرسالة موجّهة بشكل رئيسي لفليمون، كما تذكر أشخاصاً آخرين يشهدون على الرسالة: أبفية وأرخبّس، والكنيسة المحلية التي كان فليمون عضواً فيها.

عرف بولس أنه كان يطلب معروفاً كبيراً من فليمون، وأنه ربما كان من الصعب على فليمون أن يقدم له هذا المعروف. ولذا، بدلاً من أن يسمح للقضية بين فليمون وأنسيمس أن تبقى قضية خاصة، طلب بولس من أهل بيت فليمون والكنيسة أن يشهدوا على مناصرته ودفاعه عن أنسيمس. لا شك أنه كان يأمل أن تشجع العيون اليقظة لكثير من المؤمنين، فليمون ليظهر رحمته

نحو أنسيمس. وينتهي هذا الجزء بتحية معيارية على شكل بركة قصيرة.

تقديم الشكر

بعد التحية، يقدم بولس الشكر لأجل فليمون في الآيات ٤ إلى ٧. كان بولس في العادة يُدرج فقرة عن تقديم الشكر في هذه المرحلة من رسائله.

تحدث بولس بشكل رئيسي عن محبة فليمون للكنيسة، شاكرًا الله من أجل الطرق التي بها بارك فليمون إخوته المؤمنين في كولوسي. مدح بولس فليمون بهذه الكلمات في فليمون ٥-٧:

سَامِعًا بِمَحَبَّتِكَ ... لِأَنَّ لَنَا فَرْحًا كَثِيرًا وَتَعَزِيَةً بِسَبَبِ مَحَبَّتِكَ، لِأَنَّ أَحْشَاءَ الْقَدِيسِينَ
قَدْ اسْتَرَاخَتْ بِكَ أَيُّهَا الْأَخُ. (فليمون ٥ و ٧)

لم يذكر بولس ما فعله فليمون لكنه ذكر أن أحشاء القديسين قد استراحت به، أي أنهم انتعشوا به. ربما أن فليمون كان قد قدم لهم مساعدة مالية أو خدمات معينة، أو كان عوناً لهم بطرق أخرى. مهما كانت الأعمال التي قام بها فليمون، فإنه قام بها بطريقة جيدة وبقلب صالح. وبما أن أنسيمس أصبح عضواً في الكنيسة، توقع بولس أن يظهر فليمون ذات المحبة له. لنتأمل بالوضع الذي كان قائماً بين فليمون وأنسيمس في ضوء تعليم بولس في كولوسي ٣: ١٢-١٤، حيث كتب بولس:

فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللَّهِ الْقَدِيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا،
وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ
لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمْ الْمَسِيحُ هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا. وَعَلَى جَمِيعِ هَذِهِ
النَّبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ. (كولوسي ٣: ١٢-١٤)

كان بولس قد طلب من المؤمنين في كولوسي، بما فيهم فليمون، أن يتذكروا أن الله يحب ويسامح كل المؤمنين. وكان قد شجعهم على أن يظهروا المحبة ذاتها نحو بعضهم بعضاً، ويحتملوا بعضهم بعضاً بطول أناة عندما يُسيء أحد ما إليهم، وأن يغفروا الشكاوى بدلاً من أن يطالبوا بالتعويض.

ليس من الصعب أن نرى في حالة فليمون وأنسييس تطبيقاً لما سبق. أساء أنسييس إلى فليمون، وأكد بولس حقيقة هذا الأمر. ومع ذلك، طلب بولس من فليمون أن يُظهر محبته بثبات، وأن يبيّن لأنسييس ذات المحبة التي أظهرها نحو المؤمنين الآخرين. وطلب من فليمون أيضاً أن يحتمل بطول أناة الإساءة التي كان يعاني منها، وأن يسامح أنسييس بدلاً من أن يعاقبه. بهذا التأكيد على محبة فليمون، شجعه بولس أن يُظهر هذه الفضائل الثابتة في شخصيته، وألا يسمح لغضبه أن يسيطر على محبته بالنسبة إلى قضيته مع أنسييس.

الالتماس

بعد الجزء المتعلق بتقديم الشكر، قدّم بولس التماسه إلى فليمون في الآيات ٨-٢١. يمثّل هذا الالتماس الهدف الرئيسي للرسالة، وهو الدفاع عن أنسييس أمام فليمون. سوف نستعرض الالتماس بعمق ونقسمه إلى العناصر الستة التالية:

- شرح لدور بولس كمُدافع ونصير، في الآيات ٨ إلى ١٠؛
- شرح لدور أنسييس كملتَمس، في الآيات ١١ إلى ١٣؛
- شرح لدور فليمون كسيّد، في الآية ١٤؛
- شرح لدور الله كحاكم على الكون بفضل عنايته الإلهية، في الآيتين ١٥-١٦؛
- التماس بولس، في الآيات ١٧ إلى ٢٠؛
- وبيان بولس الذي يعبر عن الثقة بأن التماسه سيُجاب، في الآية ٢١.

دعونا نبدأ بالتطرق إلى شرح بولس لدوره كنصير ومدافع.

بولس كمُدافع

لنصغ إلى كلمات بولس في فليمون ٨-١٠:

لِذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ لِي بِالْمَسِيحِ ثِقَةٌ كَثِيرَةٌ أَنْ أَمْرَكَ بِمَا يَلِيْقُ، مِنْ أَجْلِ الْمَحَبَّةِ، أَطْلُبُ بِالْحَرِيِّ- إِذْ أَنَا إِنْسَانٌ هَكَذَا نَظِيرُ بُولُسَ الشَّيْخِ، وَالآنَ أَسِيرُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَيْضًا. أَطْلُبُ إِلَيْكَ لِأَجْلِ ابْنِي أَنْسِيمَسَ، الَّذِي وُلِدْتُهُ فِي قِيُودِي. (فليمون ٨-١٠)

لأن بولس كان رسول المسيح، كانت لديه السلطة أن يأمر فليمون أن يفعل ما يليق. لكن بدلاً من هذا، كتب إلى فليمون بطريقة تشجّع فليمون على أن يظهر رأفته واهتمامه. تحدث بولس في هذه الفقرة كشيخ ضعيف بحاجة إلى المساعدة. وبالنسبة إلى الذين يعرفون أسلوبه القوي في الكتابة في الرسائل الأخرى، فإن هذه الطريقة تبدو غير عادية بعض الشيء. كان بولس في العادة يطلب من الناس بقوة أن يحترموا سلطته ويخضعوا لتعليمه. فهل كان يتلاعب بفليمون ذي القلب الرقيق فحسب؟ كلا. كان هذا الأمر جانباً آخر من شخصية بولس الحقيقية والذي لا نراه غالباً في رسائله الأخرى. لنصغ إلى الطريقة التي تحدث بها نقاد بولس عن هذا الجانب الآخر من شخصية بولس في ٢ كورنثوس ١٠: ١٠:

لأنه يقول: «الرسائل ثقيلة وقوية، وأما حضور الجسد فضعيف، والكلام حقير». (٢ كورنثوس ١٠: ١٠)

هاجم النقاد بولس لأنه كان يعبر عن نفسه بقوة في رسائله، لكنه كان متواضعاً وبسيطاً في حضوره بالجسد. كان بإمكان بولس أن يكون وديعاً بحضوره الشخصي، وهذا أمر لا يثير استغرابنا حيث أن بولس كان يسعى ويجاهد دائماً ليتشبه بالمسيح، الذي كان يعلم هو أيضاً متى يكون قوياً ومتى يكون متواضعاً. لنصغ إلى تعليم بولس في فيلبي ٢: ٥-٨:

فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً: ... أخلى نفسه، آخذاً صورة عبْدٍ، ... وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. (فيلبي ٢: ٥-٨)

كان يسوع المسيح، الله المتجسد، معلماً قوياً. لكنه أتضع لدرجة أنه سمح لخلائقه أن يخضعوه إلى حكم الإعدام كمجرم دنيء. كان من الملائم إذن أن يتشبه رسول المسيح به فيكون له حضور قوي في بعض الأحيان ويكون وديعاً ومحتاجاً في أوقات أخرى. لم يضطر بولس إلى خداع فليمون أو التلاعب به - إنه كان رسولاً. لو أنه أراد القيام بهذا الأمر، لكان باستطاعته أن يطلب من فليمون أن يطيعه. ولو أنه فعل ذلك، فإن فليمون ربما كان قد استجاب له. لكن بولس أراد أن يتجاوز فليمون مع هذا الوضع بمحبة مسيحية صادقة. ولذا، لجأ إلى التأثير على قلب فليمون، طالباً منه أن يظهر المحبة والرأفة نحو رجل كبير السن في السجن، ونحو أخ مؤمن جديد، بالمسيح والذي كان يخدمه. من هذا المنظور قدم بولس دفاعه عن أنسيمس.

بعدما قدّم نفسه كمدافع عن أنسيمس، تحدث بولس عن أنسيمس في الآيات ١١-١٣. وشرح أيضاً بتفصيل أكثر، العلاقة بين أنسيمس وبولس التي دفعت بالرسول إلى تقديم التماس أنسيمس أمام فليمون.

أنسيمس كملتمس

كتب بولس الكلمات التالية في فليمون، الآيات ١١-١٣:

الَّذِي كَانَ قَبْلًا غَيْرَ نَافِعٍ لَكَ، وَلَكِنَّهُ الْآنَ نَافِعٌ لَكَ وَلي، ... الَّذِي كُنْتُ أَشَاءُ أَنْ
أَمْسِكُهُ عِنْدِي لِكَيْ يَخْدِمَنِي عَوَضًا عَنْكَ فِي قُبُودِ الْإِنْجِيلِ. (فليمون ١١-١٣)

إنّ أنسيمس الذي يصفه بولس هنا يختلف كلياً عن أنسيمس الذي كان قد أتى إلى بولس طالباً منه أن يكون وسيطه. كان أنسيمس عبداً غير نافع. لكنه آمن بالمسيح، وتاب عن خطيئته، وأصلح طريقه، وأظهر إيمانه الصادق بالقيام بجهود حقيقية للاعتناء ببولس في السجن. ولأن بولس عرف أنّ فليمون كان مؤمناً ممتلئاً بالمحبة، فإنه توقع أن يفرح فليمون عند سماعه الأخبار بأن أنسيمس قد آمن بالمسيح وأن يغفر فليمون ذنوب أنسيمس كما كان يغفر ويسامح أي مؤمن آخر أخطأ نحوه وأساء إليه.

استخدم بولس تلاعباً بالكلمات في فليمون الآيات ١١-١٣، ويشدد هذا التلاعب على التغيير الذي طرأ على حياة أنسيمس. بشكل خاص كانت كلمة "*chrēstos* (χρηστος)" مشابهة لكلمة "*christos* (χριστος)"، التي تعني "المسيح". والكلمة التي استخدمها بولس لتعني غير نافع كانت "*achrēstos* (ἄχρηστος)" من البادئة اليونانية "a"، التي تعني "غير" ومن جذر الكلمة "*chrēstos*" التي تعني "نافع". وبشكل مشابه، الكلمة التي استخدمها بولس لتعني "نافع"، كانت "*euchrēstos* (εὐχρηστος)" من البادئة "eu" التي تعني "حسناً" أو "جيداً"، ومن جذر الكلمة "*chrēstos*" التي تعني "نافع". فالتلاعب بالكلمات كان: كان أنسيمس "*achrēstos*" أو "غير نافع"، عندما كان "*achristos*" أو بدون المسيح. لكنه أصبح "*euchrēstos*" أو "نافع جداً، عندما قبل "*christos*" كرباً على حياته.

أشار بولس أيضاً إلى الطرق التي بدأ بها أنسيمس بالتكفير عن ذنوبه. كما كتب بولس، فقد أخذ أنسيمس مكان فليمون في خدمته لبولس.

في العالم القديم، كان من المعتاد أن يعير أحد الأسياد عبده إلى شخص آخر. كان هذا العمل يعتبر عطية من نوع آخر، حيث لم يكن لدى السيد أي أعمال يقوم بها العبد أثناء فترة الإعارة، وكان الصديق الذي استعار العبد يستفيد أيضاً منه.

في هذا السياق، ومن خلال أنسيمس، كان فليمون بالحقيقة يخدم بولس. ولهذا السبب قال بولس أن أنسيمس أصبح نافعا ليس له فحسب، ولكن لفليمون أيضاً. إذاً، كانت لدى فليمون أسباب إضافية ليرحم أنسيمس.

وأخيراً في هذا الجزء يذكر بولس أنه ردّ أنسيمس إلى فليمون، ربما حاملاً رسالة بولس إلى فليمون وربما سافر بصحبة تيخيكس. ذكر بولس هذا الأمر في فليمون، الآية ١٢ قائلاً:

الَّذِي رَدَّدْتُهُ... (فليمون ١٢)

عاد أنسيمس إلى كولوسي ليطلب الرحمة من فليمون على أمل أن يتصلح معه، وربما لينال حريته أيضاً. لم يكن أنسيمس فارقاً من العدالة، لكنه عاد ليواجه دينونة سيده.

فليمون كسيد

بعد وصف بولس دوره كنصير ومدافع، ودور أنسيمس كملتمس، تابع ليتحدث عن دور فليمون كسيد في الآية ١٤. أقرّ بولس هنا بسلطة فليمون على أنسيمس، وكشف عن دافعه لتقديم الالتماس إلى فليمون بدلاً من توجيه الأمر له. كتب بولس الكلمات التالية في فليمون الآية ١٤:

وَلَكِنْ بِدُونِ رَأْيِكَ لَمْ أُرِدْ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا، لَكِنِّي لَا يَكُونُ خَيْرُكَ كَأَنَّهُ عَلَى سَبِيلِ
الاضْطِرَارِ بَلْ عَلَى سَبِيلِ الْاِخْتِيَارِ. (فليمون ١٤)

أراد بولس أن يختار فليمون بنفسه القيام بالعمل الصائب. ولذا، أشار بوضوح إلى أن التماسه كان كطلب بدلاً من أن يكون وصية رسولية. ربما أراد بولس أن يكسب صديقه مكافآت سماوية لقيامه بالعمل الصائب وبالمدافع الصحيح. وربما أنه ظنّ أنّ مصالحتهما الطوعية ستقوي علاقتهما الأخوية بالمسيح.

وعلاوة على ذلك، يبدو أنّ بولس أراد أن يُظهر الاحترام نحو فليمون. فإذا عامل فليمون

أنسيمس معاملة جيدة، فستكون هذه المعاملة مصدر تشجيع كبير لبولس والكنيسة معاً. تلك كانت حجة بولس في فليمون ٧-٩، حيث كتب التالي:

لَأَنَّ لَنَا فَرْحًا كَثِيرًا وَتَعَزِيَّةً بِسَبَبِ مَحَبَّتِكَ، لِأَنَّ أَحْشَاءَ الْقَدِيسِينَ قَدْ اسْتَرَاخَتْ بِكَ
أَيُّهَا الْأَخ. لِذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ لِي بِالْمَسِيحِ ثِقَةٌ كَثِيرَةٌ أَنْ أَمْرَكَ بِمَا يَلِيْقُ، مِنْ أَجْلِ
الْمَحَبَّةِ، أَطْلُبُ... (فليمون ٧-٩)

بشكل أساسي، محبة فليمون السابقة وأمانته نحو الكنيسة شجعت بولس على الاعتقاد بأن فليمون سيظهر المحبة والولاء لأنسيمس أيضاً.

من المحتمل أن بولس اختار هذه الوسيلة لأسباب متعددة تاركاً فليمون ليأخذ دوره الروماني التقليدي كسيد له الحق أن يحاكم عبده. كان بإمكانه أن يتخذ قراراً قاسياً ويعاقب أنسيمس؛ أو أن يحكم بالرحمة ويسامح أنسيمس من أجل المسيح، ومن أجل صديقه الرسول بولس. كان على فليمون أن يقوم بالاختيار ومع أن بولس أشار بوضوح كامل إلى القرار الذي سيكون صحيحاً.

الله كحاكم

بعدما استعرض بولس علاقات الأطراف المتعددة، ذكّر فليمون بدور الله كحاكم ومسيطر على الكون في ١٥-١٦. في هذا الجزء أخذ بولس يفكر بالخير الذي سيسمح به الله أن ينتج من جراء خطية أنسيمس، إذا ما لبّى فليمون طلبه. أشار بولس إلى يد العناية الإلهية في فليمون، الآيتين ١٥-١٦ عندما كتب هذه الكلمات المشجعة إلى فليمون:

لِأَنَّهُ زُبْمًا لِأَجْلِ هَذَا افْتَرَقَ عَنْكَ إِلَى سَاعَةٍ، لِكَيْ يَكُونَ لَكَ إِلَى الْأَبَدِ، لَا كَعَبْدٍ فِي
مَا بَعْدُ، بَلْ أَفْضَلَ مِنْ عَبْدٍ: أَحَا مَحْبُوبًا، وَلَا سَيِّمًا إِلَيَّ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ إِلَيْكَ فِي
الْجَسَدِ وَالرَّبِّ جَمِيعًا! (فليمون ١٥-١٦)

يسيطر الرب على كل شيء في الكون بعنايته الإلهية. وغالباً ما يسمح للأمر السيئة أن تحدث لكي تتحقق مقاصده الصالحة. اقترح بولس في هذه الحالة أن الله تحكّم بالأحداث ورتبها لكي يحدث نزاع بين أنسيمس وفليمون كي يضطر أنسيمس أن يسعى في طلب مناصرة بولس. وسمح

الرب بهذا لكي يأتي أنسيمس إلى الإيمان بالمسيح عن طريق خدمة بولس، وبالتالي يتصالح مع فليمون كشخص مساوٍ له في الرب.

عندما تحدث بولس عن سيطرة الله على الكون بفضل عنايته الإلهية، طلب من فليمون أن يترك النزاع مع أنسيمس جانباً كي ينظر إلى ما حدث من منظور خطة الله. نعم، كان فليمون غاضباً، وكان له الحق أن يغضب. لكن المشاكل مع أنسيمس عديمة الأهمية مقارنة مع البركات التي أهدقها الله من خلال هذا النزاع.

كان فليمون رجلاً صالحاً. ففي اللحظة التي يدرك فيها أن الله تحكّم بالنزاع مع أنسيمس لكي يخلص نفساً ضالة، فمن المحتمل أن يتحوّل غضبه إلى فرح، تماماً كما كان يأمل بولس.

الالتماس

بعدها استعرض بولس كل الشخصيات المشتركة بعملية الوساطة، ذكر بولس التماسه في الآيات ١٧-٢٠. بشكل محدد، طلب من فليمون أن يسامح أنسيمس، وقدم نفسه بديلاً عن أنسيمس في حال أصرّ فليمون على تقاضي دفعة ما أو تعويض من عبده. تلخص لنا الآيتان ١٧-١٨ في فليمون التماس بولس ذا الجزئين:

فَإِنْ كُنْتَ تَحْسِبُنِي شَرِيكًا، فَاقْبَلْهُ نَظِيرِي. ثُمَّ إِنْ كَانَ قَدْ ظَلَمَكَ بِشَيْءٍ، أَوْ لَكَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، فَاحْسِبْ ذَلِكَ عَلَيَّ. (فليمون ١٧-١٨)

لاحظوا ما فعله بولس هنا: طلب معروفاً شخصياً من فليمون كما لو كان هو بنفسه من كان يحتاج إلى نعمة فليمون. لم يجادل بولس قائلاً أن أنسيمس كان يستحق أن يتصالح مع فليمون. على العكس من ذلك، ذكر ضمناً أن أنسيمس كان يستحق العقاب. ولم يطلب من فليمون أن يظهر رحمة شبيهة برحمة المسيح نحو أنسيمس.

من الناحية الاستعارية المجازية لم يدافع بولس عن أنسيمس كما يفعل محامي الدفاع، ويُفنع فليمون أن يكون رحوماً مع أنسيمس. بدلاً من هذا، اتخذ موقف الأب والشخص الذي يحامي، مدافعاً عنه ومُقدِّماً الأسباب التي تدعو فليمون لأن يكون رحوماً من أجل بولس. لنصغ إلى الطريقة التي ختم بها بولس التماسه في فليمون ٢٠:

نَعَمْ أَيُّهَا الْأَخُّ، لِيَكُنْ لِي فَرَحٌ بِكَ فِي الرَّبِّ. أَرِحْ أَحْشَائِي فِي الرَّبِّ. (فليمون ٢٠)

كان بولس يأمل في أن يظهر فليمون له الاحترام إلى درجة بحيث يُظهر الرحمة نحو ابن بولس الروحي أنسيمس. وهكذا طلب بولس من فليمون في التماسه أن يريح أحشاه بإظهار اللطف نحو ابنه، الذي أحبه من صميم قلبه.

ثم لاحظوا اللغة التي استخدمها بولس. أولاً، طلب بولس من فليمون أن يكون فرحاً له، مستخدماً الفعل اليوناني "oninēmi (ὀνίνημι)"، الذي كان اسم أنسيمس مبنياً عليه. بشكل أساسي، طلب من فليمون أن يتبع مثال عبده أنسيمس بكونه نافعاً لبولس. وثانياً، كرّر بولس استخدامه لكلمة "أريح". في الآية ٧، كان بولس قد مدح فليمون لأنه أراح أحشاء القديسين. وهنا، نراه يشجع فليمون على إظهار النزاهة بإراحة أحشاء الرسول المسجون أيضاً.

أثار علماء الكتاب المقدس أسئلة كثيرة حول تفاصيل التماس بولس. يعتقد البعض أن بولس كان فقط يطلب من فليمون أن يعامل أنسيمس بالرحمة واللطف، وألا يطلب منه تعويضاً عن الضرر والإساءة التي ارتكبتها أنسيمس، وإرجاع ما أخذه. ويعتقد البعض الآخر أن بولس كان يطلب المزيد من فليمون، أي أنه كان يطلب إعتاق أنسيمس، أي يطلب حريته.

يمكن أن نرى هذه الأفكار ضمناً في كلمات بولس في فليمون الآيتين ١٥-١٦ حيث كتب بولس على هذا النحو:

لِكَيْ يَكُونَ لَكَ إِلَى الْأَبَدِ، لَا كَعَبْدٍ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ أَفْضَلَ مِنْ عَبْدٍ: أَخًا مَحْبُوبًا...
(فليمون ١٥-١٦)

من الممكن قراءة هذه الآية على أنها تعني أن بولس أراد فليمون أن يحرر أنسيمس لكيلا يكون أنسيمس فيما بعد عبداً. تكتسب هذه الفكرة قوة عندما نلاحظ أن الكلمة اليونانية "aiōnion" (αἰώνιον) المترجمة هنا "إلى الأبد"، تُترجم أيضاً بشكل صحيح في ترجمات حديثة مثل "أبدياً" أو "للأبد". مع أن الرق الروماني كان أبدياً، إلا أنه من الناحية الفنية كان ترتيباً مؤقتاً. إذاً، لم يستطع بولس بالحقيقة أن يؤكد لفليمون بأن أنسيمس سيبقى عبداً نافعاً له للأبد. لكن علاقتنا بالمسيح هي التي ستدوم إلى الأبد. وهذا ما يدفعنا إلى أن نرى هنا تلميحاً في هذه الآية إلى فليمون وهو يعتقد أنسيمس أو يقدم له حريته.

وفي الوقت نفسه، من المهم أن ندرك أن بولس لم يُعلم أن الإيمان المسيحي يطلب من كل

الأسياذ المؤمنين أن يعنقوا عبيدهم المؤمنين. علم بولس في رسالة ١ كورنثوس ٧: ٢١ أن الحرية كانت مفضلة على العبودية. لكن تعليماته إلى العائلات التي كان الأسياذ المؤمنون فيها يمتلكون عبيداً مؤمنين لم تتضمن طلبَ إعتاقهم. مثال على ذلك، قدم بولس هذا التعليم في رسالة ١ تيموثاوس ٦: ٢:

وَالَّذِينَ لَهُمْ سَادَةٌ مُؤْمِنُونَ، لَا يَسْتَهِينُوا بِهِمْ لِأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ، بَلْ لِيَخْدِمُوهُمْ أَكْثَرَ، لِأَنَّ
الَّذِينَ يَتَشَارَكُونَ فِي الْفَائِدَةِ، هُمْ مُؤْمِنُونَ وَمَحْبُوبُونَ.... (١ تيموثاوس ٦: ٢)

في ضوء الحالات العديدة التي أصبحت فيها العبودية مؤسسة للإساءة الهائلة على مدى التاريخ، قد يبدو غريباً أن يتحدث بولس بهذه الطريقة. وعندما تفكر غالبية الناس في العصر الحديث بالعبودية، يتذكرون حالاً الفظائع الوحشية التي ارتكبت في تجارة العبيد الإفريقية. ونحن نتجه بتفكيرنا إلى الأشخاص الذين استعبدوا بالقوة، وانفصلوا عن عائلاتهم، وخضعوا لبعض أسوأ أنواع المعاملة التي يمكن أن نتصورها.

فقد تم اغتصاب الكثيرين منهم، وضربوا، ووسموا بالعار، وقُتلوا. ويغمرنا الشعور بالخجل عندما نعلم أن كثيراً من المؤمنين دافعوا عن هذه الأعمال الوحشية بلجوئهم إلى الطريقة التي قارب بها الكتاب المقدس الرق في القديم. لكنهم كانوا على خطأ بشكل مأساوي وتدميري، حيث أنه لا بولس ولا أي كاتب من كتبة الكتاب المقدس وافق على هذه الممارسات. على العكس من ذلك، كانوا لا شك سيدينون تلك الأعمال بأقسى العبارات.

لكن في الظروف التي كان بولس يتواجد فيها، كان الرق مختلفاً. كان الرق عادة ترتيباً اقتصادياً إيجابياً، خاصة عندما كان السيد والعبد كلاهما مؤمنين بالمسيح. والواقع آنذاك كان أن يقيم السيد والعبد كليهما في المنزل ذاته، وكان عليهما بحسب وصية الله أن يشجعا ويحبا بعضهما بعضاً. وهكذا كانا في جميع الأحوال عائلة موسعة أو ممتدة.

ولأنه كان بالإمكان إقامة هذه العلاقات بطرق مقدسة ونافعة لجميع الأطراف، لم يوص بولس الكنيسة أن تزيل هذه المؤسسات الاجتماعية. بدلاً من هذا، علمهم أن يتعاملوا مع الرق بطريقة يتمثلون بها بالمسيح.

بإمكاننا أن نتأكد أن بولس كان يريد الأفضل لأنسيمس، وأن فليمون عرف كيف يلي توقعات الرسول. لكن اللغة الغامضة التي استخدمها بولس تجعل من المستحيل علينا أن نعرف فيما إذا كان بولس يطلب من فليمون أن يسامح أنسيمس ويعامله كعبد مُكرَّم في منزله فحسب، أو إذا

كان يطالب بحصول أنسيمس على حريته القانونية. وبدون أن نعرف تفاصيل إضافية عن مهارات وظروف أنسيمس، يكون من الصعب علينا أن نخمن أي مطلب أو نتيجة كانت ستكون نافعة له. لكن في جميع الأحوال، من الواضح أن طلب بولس كان يهدف إلى ضمان حياة صالحة لأنسيمس، حيث تتم معاملته باحترام وكرامة مسيحية وحيث تُظهر له الكنيسة المحبة والرحمة.

الثقة

وأخيراً، بعد تقديم التماسه إلى فليمون، ختم بولس رسالته ببيان ثقة في الآية ٢١. عبر بولس في هذه الآية عن اعتقاده بأن فليمون سيفعل ما طلبه الرسول. نقرأ هذه الكلمات الختامية في التماس بولس في فليمون ٢١:

إِذْ أَنَا وَاثِقٌ بِإِطَاعَتِكَ، كَتَبْتُ إِلَيْكَ، عَالِمًا أَنَّكَ تَفْعَلُ أَيْضًا أَكْثَرَ مِمَّا أَقُولُ. (فليمون ٢١)

كان لدى بولس سببان يدفعانه للاعتقاد بأن فليمون سيلبي طلبه. أولاً، كان فليمون يحترم ويحب بولس، ولذا كان لديه الدافع لإرضاء بولس. وثانياً، أحب فليمون الكنيسة، التي انضم إليها أنسيمس للتو.

لا يسجل لنا الكتاب المقدس رد فعل فليمون، ولا يخبرنا ما حدث لأنسيمس. ساد الاعتقاد لقرون كثيرة أن فليمون أعتقه، وأنه أخيراً أصبح أسقف كنيسة أفسس، ثم استشهد في روما في عام ٩٥ ميلادي. وكان هناك بالتأكيد أسقف اسمه أنسيمس أتى بعد تيموثاوس في القرن الأول. لكن والحق يقال أن أنسيمس كان اسماً عادياً، ولذا فالعبد قد لا يكون هو الرجل الذي أصبح أسقفاً. وفي الوقت ذاته، كان باستطاعة المؤمن الذي دربه بولس أن يحتل مكانة بارزة بكل سهولة. إذًا، لا يمكننا استثناء وتجاهل تلك الاحتمالية. على كل حال، إن ثقة بولس في فليمون ينبغي أن تدفعنا لنعتقد أنه فعل ما فيه خير أنسيمس والأفضل له. وبالنسبة لبعض علماء الكتاب المقدس فإن حقيقة وجود رسالة فليمون بين أيدينا تعني ضمناً أن فليمون فعل الصواب لأنه ربما كان سيخفي الدليل على طلب بولس لو أنه لم يلبي رغبته.

التحية الختامية

بعدما ناقشنا التماس بولس من فليمون، ننتقل إلى الجزء الأخير من الرسالة، التحيات الختامية لفليمون وأهل بيته، كما هي مذكورة في فليمون ٢٢-٢٥. يحتوي هذا الجزء على تحيات اعتيادية في الآية ٢٤ وعلى بركة معيارية في الآية ٢٥. لكن هناك ملاحظتين في الآيتين السابقتين تستحقان انتباهاً خاصاً.

أولاً، في الآية ٢٢ عبّر بولس عن توقعاته بأنه سيطلق سراحه من السجن سريعاً، وطلب من فليمون أن يعدّ له منزلاً. لا شك أنّ هذا الطلب شجّع فليمون على أن يلبي التماس بولس لأنه كان سيلتقي الرسول وجهاً لوجه في المستقبل القريب.

وثانياً، وكما ذكرنا سابقاً في هذا الدرس، أرسل بولس تحية خاصة من أفراس في الآية ٢٣، مشيراً إلى أنّ أفراس كان شاهداً بعيداً على تصميم بولس (فليمون) في قضية أنسيمس. بعدما تطرقنا إلى خلفية رسالة بولس إلى فليمون، وإلى بنيتها ومحتواها، أصبحنا على استعداد لمناقشة التطبيق العصري للمثال الذي قدمه لنا بولس في مناصرته ودفاعه عن أنسيمس.

التطبيق العصري

أحد الأسباب التي تجعل رسالة بولس إلى فليمون هامة للغاية هو لأنها تبيّن لنا كيف طبّق بولس لاهوته الخاص به في حياته الشخصية. عندما ننظر إلى كنيسة كولوسي وكنيسة أفسس، نجد العديد من العبارات العامة والتطبيقات النظرية لتعاليمه. وهذه مفيدة جداً لنا. ولكن في رسالته إلى فليمون، نكون قد انتقلنا من الأمور العامة إلى الخاصة، ومن النظرية إلى الواقعية، ومن التعاليم إلى الأعمال. نرى هنا بولس كمؤمن مسيحي يعمل ويعيش بثبات بموجب عقيدته.

إذاً، بينما نفكر بالتطبيقات العملية العصرية لرسالة فليمون، سنركز اهتمامنا على الطرق التي بها تتطابق وساطة بولس بين أنسيمس وفليمون مع تعاليمه في الرسائل الأخرى، وخاصة رسالتيه إلى كولوسي وأفسس.

عندما نفكر بالتطبيقات العصرية لرسالة بولس إلى فليمون، سوف نركز على ثلاثة أمور: أولاً، الحاجة إلى المساءلة بين المؤمنين؛ ثانياً، قيمة الشفقة والرأفة في علاقاتنا في الكنيسة؛ وأخيراً، أهمية المصالحة بين أفراد عائلة الله. دعونا نتطرق أولاً إلى الحاجة إلى المساءلة بين المؤمنين.

المساءلة

كما ذكرنا سابقاً، في رسالته إلى قليمون طلب بولس من أفراد عديدين أن يكونوا شهوداً على مناصرته لأنسيمس، بمن فيهم أبفية وأرخبس وأبفراس، والكنيسة المحلية في كولوسي. ومع أن بولس لم يذكر السبب لعمله هذا، فإن أفضل تفسير هو أنه كان يأمل على ما يبدو أن تشجع عيونهم الساهرة اليقظة فليمون على القيام بالعمل الصحيح.

كانت هذه الاستراتيجية متطابقة مع تعليمه في أفسس ٥: ١١-٢٨. سوف نتطرق إلى عدة آيات من هذه الفقرة، بدءاً بأفسس ٥: ١١-١٥، حيث أعطى بولس التعليمات التالية:

وَلَا تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ الظُّلْمَةِ غَيْرِ الْمُثْمِرَةِ بَلْ بِالْحَرِيِّ وَيَخَوْهَا. لِأَنَّ الْأُمُورَ الْحَادِثَةَ مِنْهُمْ سِرًّا، ذَكَرْهَا أَيْضًا قَبِيحًا. وَلَكِنَّ الْكُلَّ إِذَا تَوَبَّخَ يُظْهِرُ بِالنُّورِ ... فَانظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّنْقِيقِ، لَا كَجُهَلَاءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ. (أفسس ٥: ١١-١٥)

يؤكد بولس في تعليمه أن على المؤمنين أن يكشفوا خطاياهم. وحجته هي أن الذين يرتكبون هذه الخطايا سوف يخلطون عندما تتكشف خطاياهم. من الحكمة إذن أن تكشف حياتنا للنور، أي أن نكون في شركة مع المؤمنين في ملكوت النور، وذلك كي نمتنع عن ارتكاب الخطية. طبعاً بولس لا يقول أن على المؤمنين أن يراقبوا بعضهم بعضاً كما يفعل رجال الشرطة للتأكد من ألا يبقى أحد بمفرده، أو بالتجسس على بعضهم بعضاً. لكن بدلاً من هذا، كان بولس يؤكد على الحكمة في المساءلة. عندما نعيش حياة مكشوفة أمام الآخرين، أي عندما يعرف الآخرون ما نفعله، فمن المحتمل أننا لن نستسلم للتجربة. والسبب في هذا هو لأننا نخجل من ارتكاب الخطية عندما يعرف الآخرون عنها.

في حالة أنسيمس وقليمون، لو لم يعرف أحد برسالة بولس، ولو لم يخطط بولس لمتابعة القضية مع قليمون، لما كان باستطاعة أحد أن يطلب من قليمون أن يكون مسؤولاً عن القيام بالعمل الصحيح. ولو عامل قليمون أنسيمس بقساوة، لما كان أحد قد عرف أن قليمون خالف التماس بولس إلا قليمون نفسه.

لكن عندما كشف بولس القضية أمام الجميع، ضمن بولس أن قليمون سيعاني من عدم رضى عائلته والكنيسة في كولوسي إن هو عامل أنسيمس بقساوة. هذا التهديد دفعه للقيام بالعمل الصحيح. وقد استخدم الرب نفسه إمكانية الشعور بالخجل لدفع شعبه إلى عمل الصواب في العهد

القديم. مثال على ذلك، في حبقوق ٢: ١٦، أعلن النبي الكلمات التالية التي خاطب الله بها يهوذا:

قَدْ شَبِعْتَ خِزْيًا عَوَضًا عَنِ الْمَجْدِ ... تَدُورُ إِلَيْكَ كَأْسُ يَمِينِ الرَّبِّ، وَقِيَاءُ الْخِزْيِ
عَلَى مَجْدِكَ. (حبقوق ٢: ١٦)

هدد الله بالحق الخزي والعار بأهل يهوذا لكي يهجروا خطيتهم. وفي حزقيال ٧: ١٨ حاول الرب أن يُحَفِّزَ إسرائيل لإطاعته بهذا التهديد بالخزي والعار:

وَيَتَنَطَّقُونَ بِالْمَسْحِ وَيَغْشَاهُمْ رُعبٌ، وَعَلَى جَمِيعِ الْوُجُوهِ خِزْيٌ، وَعَلَى جَمِيعِ
رُؤُوسِهِمْ قَرَعٌ. (حزقيال ٧: ١٨)

وبالطريقة ذاتها، هناك خطايا سرية كثيرة في الكنيسة العصرية. يتساهل المؤمنون بالنسبة لكثير من هذه الخطايا، لكنهم سيصابون بالخجل لو عرف الآخرون عنها. إذًا، فإن إحدى الطرق التي تستطيع الكنيسة أن تجعل المؤمنين بواسطتها مسؤولين أمام بعضهم بعضاً بالنسبة لهذه الخطايا هي أن تُبقيهم في شركة وثيقة وعلاقة قوية مع بعضهم بعضاً. لكن الشعور بالخجل والعار ليس الشكل الوحيد من الوقاية الذي تقدمه المساءلة المسيحية. على العكس من ذلك، يشدد مثال بولس في رسالة قليمون على أن المؤمنين ينبغي أن يكونوا مسؤولين أمام بعضهم بعضاً من خلال الشركة الممتعة بينهم. لنصغ إلى كلمات بولس في أفسس ٥: ١٩:

مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ... (أفسس ٥: ١٩)

يساعد المؤمنون بعضهم بعضاً في الامتناع عن الخطية وذلك بتبادل كلمات التشجيع مع بعضهم بعضاً. يجب أن تكون هذه هي الطريقة التي ينبغي علينا نحن المؤمنون العصريون أن نسلك بموجبها لكي نكون مسؤولين أمام بعضنا بعضاً. إن تهديد الشعور بالخجل موجود دائماً، لكن بولس لم يشدد على الخجل عندما تحدث إلى قليمون، وذلك لأن قليمون لم يكن يسلك سلوكاً مخجلاً. بدلاً من هذا، شدد بولس على الأعمال الحسنة التي قام بها قليمون وشجعه على إظهار شخصيته الصالحة والقيام بالأعمال الحسنة. وهكذا يجب علينا نحن أيضاً أن نركز على الخير

والصلاح الذي في إخوتنا وأخواتنا المؤمنين كلما استطعنا، وذلك كوسيلة لتشجيعهم وتحفيزهم ليكونوا مسئولين عن القيام بالأعمال الصالحة الإضافية.

أخيراً، أشار بولس إلى أنه علينا أن نكون مسئولين أمام بعضنا بعضاً، وذلك بخضوع المؤمنين المتبادل لبعضهم بعضاً. لنصغ إلى كلماته في أفسس ٥: ٢١:

خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللَّهِ. (أفسس ٥: ٢١)

ينبغي أن تكون الكنيسة مكاناً مقدساً وأن تتكوّن من شعب الله المطيع. وهذا يعني أنّ مشورة الكنيسة يجب أن تكون مشورة مقدسة وبارّة.

إذاً، بينما نعيش في شركة مع بعضنا بعضاً، مشجعين بعضنا بعضاً على القيام بالأعمال الحسنة، علينا أن ننتبه بشكل خاص إلى الطرق التي يدرنا بواسطتها قادة الكنيسة وتقاليدنا على السلوك الصحيح وإلى مشورة المؤمنين الحكيمة والتقوية.

باختصار، من خلال استخدام بولس لأشخاصٍ ليكونوا شهوداً على التفاعلات التي جرت بين قليمون وأنسيمس، نتعلم أنّ الكنيسة تقدر أن تمنع الخطية وتشجع على الأعمال الصالحة وذلك عن طريق إظهار معارضتنا للخطية، وتقديم التشجيع، والخضوع لمشورة الكنيسة الحكيمة. بعدما استعرضنا تطبيقات رسالة بولس إلى قليمون بالنسبة إلى المساءلة في الكنيسة، ننتقل إلى نقطة التطبيق الثانية: أهمية إظهار الشفقة والرأفة في علاقاتنا مع المؤمنين الآخرين.

الشفقة

من بين جميع الصفات التي أظهرها المسيح أثناء خدمته في العالم، تعتبر الشفقة الأكثر إثارة للانتباه. نعم، كان لديه الغيرة نحو القداسة والخشوع، كما أنّ تشديده على البرّ وأهمية الأخلاق لا يمكن نكرانه. وأظهر أيضاً حكمة لا مثيل لها، ونزاهة، ووقاراً.

لكن صفاته الأكثر أهمية وجدارة كانت لطفه، وشفقته، واهتمامه، ومحبهه للآخرين، ورغبته بالغفران، واستعداده للمعاناة لكيلا يعاني الآخرون. إنها القصص المتعلقة بإقامة الموتى، وتعزية الأحياء، وشفاء المرضى، وشفاء العرج، وإطعام الجياع، ورعاية الضالين والمتألمين والخائفين - وموته على الصليب من أجل الذين كانوا يكرهونه. باختصار، إنّ شفقة المسيح ورأفته هما اللتان تؤثران علينا بعمق أكثر من الصفات الأخرى. وأنه هذا هو النوع من الشفقة التي شجع بولس بها

لكي نقلدها من خلال تسبيحه، وتعاليمه، وأمثله في رسالته إلى قليمون.
سنتطرق إلى نوعين من الشفقة والرأفة في رسالة بولس إلى قليمون، بدءاً بلطفه وإحسانه، ثم بالتفكير بأعمال شفاعته. دعونا نبدأ بالتطرق إلى أعمال اللطف كأمثلة عن الرأفة المسيحية.

اللفظ

علم بولس جميع المؤمنين أن يظهرها اللطف والإحسان عندما مدح قليمون من أجل خدمته تجاه الكنيسة، وعندما اقتبس هذه الصفات كأساس لالتماسه الذي قدمه إلى قليمون. لنصغ إلى كلمات بولس في قليمون ٧-٩:

لأنَّ لَنَا فَرْحًا كَثِيرًا وَتَعْزِيَةً بِسَبَبِ مَحَبَّتِكَ، لِأَنَّ أَحْشَاءَ الْقَدِيسِينَ قَدْ اسْتَرَاحَتْ بِكَ
أَيُّهَا الْأَخُّ ... مِنْ أَجْلِ الْمَحَبَّةِ، أَطْلُبُ ... هَكَذَا نَظِيرُ بُولُسَ الشَّيْخِ، وَالآنَ أَسِيرُ
يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَيْضًا. (قَلِيمُون ٧ و ٩)

تشجع بولس كثيراً من الطرق التي بها أراح قليمون أحشاء القديسين، أي الطرق التي بها أظهر لطفه نحو المؤمنين الآخرين. وأراد بولس أن يحصل على إحسان مشابه بناء على كونه شيخاً وسجيناً، أي شخصاً يستحق الشفقة وبحاجة إلى مساعدة. وذلك كما كتب في كولوسي ٣: ١١-١٢:

بَلِ الْمَسِيحِ الْكُلِّ وَفِي الْكُلِّ ... فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللَّهِ الْقَدِيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ أَحْشَاءَ
رَأْفَاتٍ، وَأَطْفَاءً، وَتَوَاضَعًا... (كولوسي ٣: ١١-١٢)

لأن المؤمنين الآخرين متحدون مع المسيح، يجب أن نعاملهم كما نعامل المسيح وكما عاملنا ربنا، مظهرين عناية كثيرة نحوهم، ومساعدتهم على سد احتياجاتهم.
بهذه الطرق وبطرق عديدة أخرى، يبين بولس أن اللطف والإحسان هما جانبان مهمان للحياة المسيحية. وهكذا إذاً، يجب على المؤمنين العصريين أن يظهرها الرأفة والمحبة نحو الذين في الكنيسة، كما فعل بولس وقليمون، ويجب أن يستجيبوا لحاجاتهم حسب استطاعتهم.

الشفاعة

النوع الثاني من الشفقة والرأفة الذي شجعه بولس في رسالته إلى فليمون هو الشفاعة، أي عندما ينعر ويدافع المؤمن عن مؤمن آخر. يمكن أن تتخذ الشفاعة عدة أشكال. فمن ناحية أولى، يمكن أن تكون الشفاعة بسيطة وعبارة عن التعبير عن الآراء، بدون أية مخاطرة شخصية، مما يجعل الظروف تميل إلى صالح طرف آخر. ومن ناحية أخرى، يمكن أن تكون قوية تشمل التضحية بالحياة لحماية شخص آخر مذنب. إنَّ أوضح مثال عن هذا النوع من الشفاعة هو ذبيحة المسيح التي قدمها للحصول على الخلاص للخطاة. وبين هذين النوعين، توجد أصناف عديدة من الشفاعة. لنصغ إلى كلمات بولس إلى فليمون نيابة عن أنسيمس في فليمون ١٧-١٩:

فَأَقْبَلُهُ نَظِيرِي. ثُمَّ إِنْ كَانَ قَدْ ظَلَمَكَ بِشَيْءٍ، أَوْ لَكَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، فَأَحْسِبْ ذَلِكَ عَلَيَّ
... أَنَا أَوْفِي. (فليمون ١٧-١٩)

من خلال مثال بولس، ينبغي على المؤمنين العصريين أن يتشفعوا للمؤمنين الآخرين بطرق مشابهة. بعض الأحيان نكون مدعوين للتشفع بطرق بسيطة. وفي أحيان أخرى، محبتنا ورأفتنا نحو الآخرين قد تدعونا إلى مستويات أعظم من الشفاعة. وفي بعض الحالات، قد تدفعنا شفقتنا ورأفتنا للتشفع وذلك بالتضحية بحياتنا لمنفعة أو حماية الآخرين. وذلك كما كتب بولس في أفسس ٥: ١-٢:

فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللَّهِ كَأَوْلَادٍ أَحِبَّاءَ، وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا
وَأَسَلَمَ نَفْسَهُ لَأَجَلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً. (أفسس ٥: ١-٢)

بعدما استعرضنا بعض الطرق التي ينطبق بها تعليم بولس في رسالة فليمون على المساءلة في الكنيسة وعلى الشفقة والرأفة المسيحية، أصبحنا مستعدين للانتقال إلى موضوعنا الأخير: مصالحة المؤمنين مع بعضهم بعضاً من خلال ربنا يسوع المسيح.

المصالحة

عندما نتحدث عن المصالحة، ينبغي أن نوضح أننا لا نتحدث عن مجرد خلق الوحدة والمحبة حيث لا تتواجدان. لكننا نتحدث عن إرساء الوحدة والمحبة حيث تواجدت العداوة قبلاً. المصالحة متأصلة في الغفران والرحمة، ونحافظ عليها من خلال الصبر وطول الأناة. وهي تقترض وجود مصدر للنزاع بيننا، لكننا وضعنا ذلك النزاع جانباً لنطلب ما هو أفضل، أي السلام المتبادل مع بعضنا بعضاً، والمحبة المتبادلة تجاه بعضنا بعضاً، وخدمتنا المتبادلة إلى بعضنا بعضاً.

في رسالتيه إلى كولوسي وأفسس، تحدث بولس مراراً عن المصالحة بين المؤمنين، على المستوى الفردي والجماعي العرقي معاً. ووصف هذه المصالحة كعنصر أساسي للإنجيل.

أصرَّ بولس على أن أنسيمس وفليمون عليهما معاً التزام بإعادة علاقتهما إلى ما كانت عليه ولقبول بعضهما بعضاً كإخوة في المسيح بدون أي حسد. من ناحية أنسيمس، كان عليه أن يتوب عن خطيته التي ارتكبها عند تحوله إلى المسيحية بواسطة خدمة بولس. وكعبد لفليمون، كان عليه أيضاً أن يخضع لقرار فليمون. وفليمون من ناحيته كان ملزماً بأن يحب أنسيمس، ويعامله بلطف، ويغفر خطيته، ويستعيده إلى علاقات صحيحة.

بالطريقة ذاتها، يجب على المؤمنين العصريين أن يكونوا متلهفين لمسامحة بعضهم بعضاً وأن يعملوا على إعادة العلاقات الصحيحة بينهم.

وبالطريقة ذاتها، كما في أيام بولس، كانت هناك توترات واستياءات ونزاعات أخرى بين الأجناس والأعراق المختلفة في الكنيسة. وبولس لا يجادل ويقول إن كل من كانت لديه هذه النزعة لم يكن قد نال الخلاص. لكنه كان يقول أن المسيح محاسن هذه المشاكل، حتى أن كل نزاع عرقي عنصري في الكنيسة كان لاغياً ولذا يعتبر خطية. مثال على ذلك، كتب بولس هذه الكلمات في أفسس ٢: ١٤-١٦ عن مصالحة المؤمنين اليهود والأمميين:

لأنَّهُ هُوَ سَلَامُنَا، الَّذِي جَعَلَ الْإِثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاحِ الْمُتَوَسِّطِ أَيْ
الْعَدَاوَةِ ... لِكَيْ يَخْلُقَ الْإِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلَامًا،
وَيُصَالِحَ الْإِثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللَّهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلًا الْعَدَاوَةَ بِهِ. (أفسس ٢:
١٤-١٦)

بحسب حجة بولس في هذه الفقرة، إن مصالحة المؤمنين اليهود والأمميين في المسيح هي

أحد جوانب وحدتنا بالمسيح، ولذا فهي خطوة أساسية في مصالحتنا مع الله. والأمر ذاته ينطبق على أيماننا هذه بالنسبة إلى النزاع العرقي والعنصري وإلى كل اختلاف آخر بين المؤمنين قد يصبح مصدراً للمشاكل. لأننا متحدون مع المسيح، فإن خطايانا غُفرت وبننا بركات الله. إذًا، لا يوجد لدينا أي موجب للاستياء أو الامتناع عن مصالحة أي مؤمن آخر. أزال ربنا كل أساس للنزاع بيننا، ولذا يجب أن ندرك أن نزاعنا خطية، ونسعى للوحدة والانسجام في جسد المسيح. لنصغ إلى كلمات بولس في أفسس ٤ : ٣٢:

وَكُونُوا لَطْفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللَّهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ. (أفسس ٤ : ٣٢)

ولنفكر في تعليمه في كولوسي ٣ : ١٣-١٥:

مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غُفِرَ لَكُمْ الْمَسِيحُ هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا. وَعَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْبُسُوءِ الْمَحَبَّةُ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ. وَلِيَمْلِكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلَامٌ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ... (كولوسي ٣ : ١٣-١٥)

لقد دُعينا لتتخلى عن تحيزاتنا وإساءاتنا، ولنحب أحداً الآخر، ولنرى كل مؤمن من خلال عيني المسيح، ولنتمتع بالسلام سوية. المصالحة بين المؤمنين يجب أن تكون في أعلى سلم الأولويات في الكنيسة العصرية.

الخاتمة

في هذا الدرس استعرضنا بدقة رسالة بولس إلى صديقه الكولوسي، فليمون. واستكشفنا خلفية الرسالة، ودرسنا بنية ومحتوى الرسالة. وأخيراً، تطرقنا إلى عدد من التطبيقات العصرية التي استخرجناها من مثال بولس في رسالته إلى فليمون. رسالة فليمون جزء صغير من العهد الجديد. إنها تقدم لنا بصيرة رائعة عن كيف طوّر بولس علاقة مع المؤمنين الآخرين، وتؤكد لنا أنه سلك بموجب العقائد التي كان يعلمها للآخرين.

وبالإضافة إلى هذا، فهي تعلمنا الكثير عن القيمة التي يجب أن نعطيها لكل مؤمن في الكنيسة وعن طريقة تأثير ذلك على حياتنا، وخاصة عندما يتعلق الأمر بتنمية العلاقات الصحيحة. بينما نعيش بموجب المبادئ التي قدمها لنا بولس كمثال في رسالته إلى فليمون، سنخطوا خطوات كثيرة تجاه خدمة بعضنا بعضاً وتجاه بناء الكنيسة لمجد المسيح.